

الفصل التاسع

نشوب الحرب العظمى الثانية

- ١ -

في التاريخ الذي ضربه هتلر في أمره التوجيهي الأول (للقضية البيضاء) منذ ٣ نيسان وبانبلج فجر اليوم الأول من أيلول ١٩٣٩ تدفقت الجيوش الألمانية عبر الحدود البولندية واطبقت على وارشو من الشمال والجنوب والغرب.

وكان هدير الطائرات الحربية الألمانية فوق الرؤوس يملأ الأجواء، وهي منطلقة الى أهدافها: وراحت تقصف أرتال العساكر البولندية وكدس العتاد، والجسور، والسكك الحديد، والمدن المفتوحة. في دقائق معدودات طفقت تذيق البولنديين جنوداً ومدنيين. أول طعم لموت الفجأة والدمار المتحدر من السماء تعانيه البشرية وبأوسع نطاق جرى على ظهر هذا الكوكب في الماضي. وبهذا اشاعت فزعاً وهولاً كان سيصيح القضاء الرهيب المألوف لمئات الملايين في أوروبا وآسيا وأفريقيا، رجالاً ونساءً وأطفالاً خلال السنوات الست القادمة. والذي كان شبحتها (بعد مجيء القنبلة النووية) سيظل يطارد كل اذهان أبناء البشرية مهدهداً بالإبادة المطلقة.

كان يوماً عبوساً، وصباحاً قائضاً بعض الشيء في برلين. بغيوم طخياء تهمين على برلين فتمنحها بعض حماية من القاصفات المعادية التي كان يخشى منها. الا انها لم تأت.

لاحظت أن البلادة والحمول كانتا تسودان حركة الناس في الشارع، رغم كثرة الأنباء التي طالعتهم من أجهزة راديواتهم ومن طبعات الصحف الصباحية الخاصة^(١) ورأيت عبر الشارع وأنا في فندق (آدلون) وجبة العمال الصباحية متفرغة الى عملها في بناية شركة (فارين) الجديدة كأنما لم يحصل شيء وعندما كان باعة الصحف الصبيان يرون بهم منادين على بضاعتهم من الطبقات الخاصة، لم يلق أحد منهم أداة عمله ليبتاع نسخة وعللت ذلك لنفسني بان الشعب الألماني ربما لم يستفك بعد من صدمة النبأ الصباحي الأول حين استيقظوا ليجدوا أنفسهم في غمار حرب كانوا واثقين أن (الزعيم) سيتجنبها. لم يصدقوا تماماً، والآن هاهي ماثلة أمامهم حقيقة واقعة.

وأي تباين؟ المرء لايسعه الا أن يقارن بين هذا التبلد الأغبر وبين الحماسة التي رافقت الألمان في

١- أذيع بيان هتلر الى الجيش معلناً فيه بدء العمليات العدوانية من الراديو الألماني في الساعة ٥.٤٠ صباحاً. وكانت طبعات الصحف الخاصة قد نزلت للشوارع بعد ذلك بقليل.

١٩١٤. كان دخولهم تلك الحرب مشوباً بحماسة ونشوة هائلة. فقد نظم الأهالي وقتذاك تظاهرات صاخبة جنونية في الشوارع ونشروا الأزهار على الجنود وهم يسرون الى الجبهة، وهتفوا هتافاً يشق عنان السماء للقيصر قلهلم الثاني رب الحرب الأعلى.

في هذه المرة لم يكن ثم تظاهرات كهذه للعساكر أو لرب الحرب النازي الذي انطلق من دار المستشارية قبيل العاشرة صباحاً الى الرايخشتاغ يشق طرقاً خالية كئيبة ليلقي كلمته أمام الشعب حول أحداث الساعة. بعد أن قام هو متعمداً وبكل برودة دم بتفجيرها الآن حتى آلات الرايخشتاغ المتحركة، أولئك الناس الذين عينهم بنفسه وانتقى معظمهم من رجال حزبه لم يستجيبوا بحماسة كبيرة حين مضى الدكتاتور قدماً في توضيح الأسباب التي أدت بألمانيا الى ان تجرد نفسها في صبيحة هذا اليوم - مشتبكة بحرب. كان الهتاف أقل بكثير من السابق، وفي المناسبات التي تقل عنها أهمية أثناء ماراح الزعيم يلقى خطابه من المنبر الكثير الزخرف في دار أوبرا (كرول).

ومع قسوة وشدة كانت تظهر في مواضع من خطبته، إلا أن موقف الدفاع كان يغلب عليها. وتكون عندي اعتقاد وأنا اصغي الى أقواله أنه يعاني وطأة هم غريب، وخيل لي أنه ذاهل اللب هو نفسه للمأزق الذي تورط فيه. وهو الآن يظهر شيئاً من التحرج ويبدو أن تفسيراته لتقاعس إيطاليا الحليفة عن الوفاء بالتزاماتها العفوية في الإسراع الى معونة لم يقنع بها حتى الحاضرون الذين انتقاهم بنفسه.

"[قال] ارغب هنا أن أخص باعظم الشكر إيطاليا التي عاونتنا دائماً ابداً. ولكنكم تدركون أننا في حوض غمار هذا الكفاح لاننوي طلب المعونة من الخارج ولسوف نهض به وحدنا".

ولما كان قد اعتمد كثيراً على الأكاذيب وهو طريقه الى الحكم وفي نهجه الى تركيز السلطان بيده، فهو لا يتعفف في هذه الساعة التاريخية الخطيرة من نثر عدد آخر منها على اسماع الشعب الألماني السهل الخداع، تبريراً لعمله الشرير.

"انكم لاتجهلون المحاولات المستمرة التي بذلها للتوصل الى تفاهم وحسم سلمى لمشكلة النمسا ثم ارض السودان وبوهيميا وموارفيا... وكانت كلها عبثاً... في محادثات مع ساسة بولندا... بلورت بالأخير المقترحات الألمانية... وكانت في غاية الاعتدال والإخلاص. واني لأرغب في ايضاح ذلك للعالم أجمع. كنت أنا وحدي في موقف القادر على عرض مثل هذه المقترحات لأنني كنت مدركاً إدراكاً تاماً بأنني سأصطدم بمعارضة ملايين في اقدامي على هذا العمل... لقد رُفضت تلك المقترحات.

"إنتظرت أنا وحكومتي يومين كاملين. لنرى هل توافق الحكومة البولندية على إرسال مندوب مفوض ام لا؟... لكن يساء الحكم علي إن اعتبروا جبي بالسلم وطول صبري ضعفاً أو جبناً... لا يمكنني أن أجد بعد الآن اي رغبة من جانب الحكومة البولندية في إجراء مفاوضات جديدة معنا... ولذلك قررت أن أكلم بولندا باللغة التي دأبت على استعمالها ضدنا خلال الأشهر المنصرمة..."

في هذه الليلة الماضية أطلق الجيش النظامي البولندي لأول مرة النار على حدودنا ودخلوا أراضينا.

ومنذ الساعة ٤٥ ، ٤ صباحاً ونحن نرد عليهم بالنار ومن هذه الساعة فصاعداً سندر القنبرة بالقنبرة . وهكذا استخدم مستشار ألمانيا الهجوم الألماني المفتعل على محطة (كلايثير) سبباً لتبرير اعتدائه الغاشم على بولندا ، ويذكر القاريء أن الغارة قام بها رجال الحرس الأسود المنتكرين بالزي العسكري البولندي تحت اشراف (ناويوكس) . والواقع أن أول نشرة حربية صدرت عن القيادة العليا الألمانية وصفت عملياتها العسكرية "بالهجمات المضادة" . حتى (فايسكر) نفسه بذل جهداً كبيراً في ترويح هذه الخدعة الغادرة المفضوحة فقد عمم برقية في ذلك اليوم الى كل البعثات الدبلوماسية الألمانية عن وزارة الخارجية يشير عليها بالسبيل الذي تتعبه:

"صدماً للهجمات البولندية، تحركت القوات الألمانية للعمل ضد بولندا فجر هذا اليوم. هذا العمل لاينعت في الوقت الحاضر بالحرب. بل مجرد إشتياكات نجمت عن الهجمات البولندية"^(٢).

حتى جنود الألمان الذين كانوا في موقف يتسببون منه اي الطرفين بادأ الآخر بالهجوم من الحدود البولندية، قصفت كذبة هتلر اذهانهم قصفاً. فقد جاء في بيان طنان وجهه الزعيم الى الجيش الألماني في ١ أيلول: "رفضت الحكومة البولندية تسوية سلمية للخلافات طالما رغبت فيها ، ولجأت الى حكم السلاح... سلسلة من اعتداءات على الحدود لايمكن ان تصبر عليها دولة معظمة، دلت على ان بولندا ليست راغبة بعد في إحترام حدود الرايخ. ولأجل وضع حد لهذا الجنون، لم يكن لي بد من مجابهة القوة بالقوة من الآن فصاعداً.

في ذلك اليوم لم يتكلم هتلر بالحق إلا مرة واحدة: "قال للرايخشتاغ [إني لاأطلب من أي فردٍ شيئاً اكثر مما اعددت نفسي لبذله وعمله خلال أربع سنوات... إني من هذه اللحظة والى الأخير الجندي الأول للرايخ الألماني فحسب. لقد عدت مرة أخرى فليست تلك السترة التي هي أعز واقدس شيء عندي ولن أنزعها أبداً حتى نحرز النصر، أو سأقضي على حياتي بخلاف ذلك".

وقد صدق والحق يقال في وعده عند مجيء النهاية. ولكن لا أحد ممن قابلتهم من الألمان في برلين يومذاك، لاحظ أن ماقاله الزعيم بكل صراحة هو الشيء الذي لايستطيع مواجهته أو إحتماله، إن كانت النتيجة الهزيمة والإندحار.

وفي خطبته هذه، عين گورنك خلفاً له إن حصل أي شيء. وازاف يقول أن (هس) سيليه في التسلسل. "فاذا حصل (هس) شيء، فعندئذ يدعى مجلس الشيوخ بحكم القانون وينتخب من بين اعضائه الأليق -واعني بذلك الأشجع- ليكون خلفاً". اي قانون؟ اي مجلس شيوخ؟ كلاهما لا وجود لهما!

أفسح خلق هتلر المكبوت بعض الشيء في الرايخشتاغ، السبيل لهياج نفسي أقبح حال عودته. ووجده (داليروس) المتزلف الذي دأب السير في اعقاب گورنك - هناك في أقصى حالة "من الهياج

٢- [وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية... ج٧، ص ٤٩١.

العصبي والثورة النفسية".

"شهد الوسيط السويدي فيما بعد] قال: "كان يشك دائماً في أن بريطانيا تريد الحرب. وقال لي أيضاً أنه سيسحق بولندا ويضم كل أراضيها..."

"وزاد هياجه زيادة مطردة وبدأ يلوح بذراعيه ويصرخ في وجهي قائلاً: إن شاءت بريطانيا ان تقاتل عاماً فسأقاتل عاماً. إن ارادت إنكلترا القتال عامين فسأقاتل عامين..." وسكت ثم صاح فجأة بصوتٍ حادٍ ليغدو صراخاً وذراعه تتحركان في الهواء حركات عنيفة "إن ارادت إنكلترا الحرب ثلاثة اعوام فسأقاتل ثلاثة أعوام".

وراحت تشنيتات جسمه الآن تتبع تلويحات ذراعيه، وعندما صرخ أخيراً، Und wenn ederforderlich ist, will Ich zuhn Jahre kaempfen (وعند الضرورة سأقاتل عشرة اعوام)، لوح بقبضة يده وانحنى الى الأسفل حتى كاد يلمس رأسه^(٣) الأرضية.

مع كل هذه الهستيريا لم يكن هتلر مقتنعاً قط بأنه سيحارب بريطانيا العظمى. الآن مضت ساعات الظهر وأرتال الجيش الألماني المصفحة قد قطعت اميالاً عديدة متوغلة داخل الأراضي البولندية وهي تتقدم بسرعة ومعظم مدن بولندا وبضمنها وارشو ذاقت طعم القصف الجوي وسقطت ضحايا كثيرة. ولكن لم يصدر شيء من لندن أو باريس يشير الى أن بريطانيا وفرنسا في عجلة من امرهما للوفاء بالتزاماتهما لبولندا.

كان سبيل الدولتين واضحاً. إلا ان (داليروس) و(هندرسن) كانا يحاولان بذل أقصى مجهوداتها كما يبدو لإيقاع الخلل فيه.

في الساعة ١٠.٣٠ صباحاً تلقن البريطاني رسالة لهايلفاكس. " [قال فيها] علمت أن البولنديين نسفوا جسر (درشاو) أثناء الليل^(٤) والحرب ناشبة بين البولنديين واهالي الدانزك. فلما بلغت الأنباء هتلر أمر أن يطرد البولنديون من خط الحدود، وأن يقوم غورنك بتحطيم القوة الجوية البولندية على طول الحدود.

وفي ختام الرسالة فقط نوه هندرسن بأن...

"هذه المعلومات مستقاة من غورنك نفسه" وقد يطلب هتلر مواجهتي بعد الرايخشتاغ للقيام بأخر مجهود لإنقاذ السلم^(٥)."

٣- من كتاب داليروس (المرجع السالف الص ١١٩-١٢٠) ومن شهادته في (محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج٩، ص٤٧١).

٤- كانت عملية الألمان للإستيلاء على جسر درشاو فوق الفستولا قبل أن ينسفه البولنديون قد تم وضع خطتها في الصيف. وتردد ذكرها باستمرار في أوراق (القضية البيضاء). وقد أمر بتنفيذها بشكل واضح في أمر هتلر التوجيهي رقم (١) المؤرخ ٣١ آب. وقد فشلت العملية فعلاً، بسبب ضباب الفجر الذي حال دون إسقاط المظليين الذين كلفوا بإحتلاله. وقد نجح البولنديون في نسفه في الوقت المناسب.

٥- (و.س.ب.خ، ج٧، الص ٤٦٦-٤٦٧).

أي سلم هذا؟ أسلم لبريطانيا؟ ست ساعات مرت وألمانيا تخوض حرباً - ويكل جيروتها العسكري-
ضد حليقة بريطانيا.

لم يرسل هتلر بطلب (هندرسن) بعد خطابه في الرايخشتاغ. فادركته الخيبة بعد أن تبرع بنقل
أكاذيب غورنغ الى مرجعه في لندن حول مبادأة البولنديين بالهجوم. إلا انه لم يخب أمله تماماً.
وفي الساعة ١٠.٥٠ صباحاً تلقن رسالة أخرى لهاليفاكس، يكاشفه بفكرة جديدة نبطت في ذهنه
الحصب، المشوش:

"[قال] أشعر من واجبي الاعراب عن اعتقادي -مهما كانت احتمالات النجاح ضعيفة- أن الأمل
الممكن الوحيد لحفظ السلم في الوقت الحاضر، هو قيام المارشال (سميگلي ريدز) بالإعلان عن
إستعداده للقدوم حالاً الى ألمانيا كعسكري ومفوض مطلق الصلاحية ولبحث المشكلة كلها مع
الفيلدرماشال غورنغ^(٦).

ولم يخطر ببال هذا السفير البريطاني العجيب، أن المارشال (سميگلي-ريدز) في هذا الوقت
بالذات ربما كان متفرغاً لمحاولة صد الهجوم الألماني الجبار المباغت وإن استطاع أن يتخلص من ذلك
العمل، ليأتي برلين "مندوباً مطلق الصلاحية" فسيكون قدومه موازياً للإستسلام تحت هذه الظروف.
وقد تلحق بالبولنديين الهزيمة السريعة لكنهم لن يستسلموا. وكان (داليروس) أشد نشاطاً من رفيقه
هندرسن خلال اول يوم لهجوم ألمانيا على بولندا. في الساعة ٨ صباحاً كان في طريقه الى غورنغ.
فابتدته الأخير قائلاً "لقد نشبت الحرب لان البولنديين أغاروا على محطة الراديو في غلايڤيتر ونسفوا
الجسر القريب من (درشاو)" فبادر السويدي في الحال إلى تلفنة الأنباء لوزارة الخارجية في لندن.
وشهد فيما بعد عند إستجوابه في محكمة نورمبرگ: "أبلغت أحد الموجودين بأنه وصلتني
معلومات تفيد أن البولنديين قد بدأوا الألمان الهجوم. وهم بالطبع كانوا مستغربين مما حصل عندما
أنبأتهم بهذه المعلومات^(٧)."

وكان هذا على كل ما سيتلفنه سفير جلالته في برلين بعد ذلك بساعتين. وتسجل مذكرة سرية
لوزارة الخارجية البريطانية ان نداء الوسيط السويدي وصل في الساعة ٩,٠٥ صباحاً. وقد أصر هذا
على لندن - مقلداً غورنغ "بأن البولنديين يفسدون كل شيء" وأن لديه "دلائل على أنهم لا يريدون
التفاوض"^(٨).

وفي الساعة ١٢,٣٠ ظهراً عاد يتصل بوزارة الخارجية ثانية. وفي هذه المرة كان محدثه
(كادوگان) فراح ينحي مرة أخرى باللائمة على البولنديين بافساد مشاريع السلم بنسفهم (جسر

٦- المرجع السالف.

٧- (محاكمات مجرمي الحرب الكبار: ج٩، ص٤٣٦). ان شهادة داليروس كما طبعت هنا تحوي خطأ طبوغرافياً. يجعل
كلامه يبدو وكأن البولنديين "هم الذين هوجموا" وبهذا يغمض الأمر تماماً.

٨ - (و.س.ب.خ) ج٧ الص ٤٧٤ - ٤٧٥.

درشاو) واقتراح ان يطير الى لندن بصحبة (فوربس). لكن (كادوغان) الصلب غير المؤمن بسياسة المسكنات، ضاق الآن ذرعاً بـ(داليروس) وبخاصة بعد ان اندلعت الحرب التي كان يحاول منعها، فقال للسويدي "لا يمكن الآن عمل اي شيء". إلا ان (كادوغان) لم يكن إلا مجرد وكيل الوزارة الدائم، وهو موظف لا يتمتع بعضوية البرلمان. ولذلك أصر داليروس ان يعرض طلبه على مجلس الوزراء نفسه مبلغاً (كادوغان) بلهجة متعطرسة بأنه سيبتصل به بعد ساعة. وقد فعل ذلك ونال الجواب الذي ينشده:

"[قال كادوغان] لا تقبل أصلاً أية فكرة في التوسط، مادامت القوات الألمانية في حالة غزو بولندا. والسبيل الوحيد الذي يمكن سلوكه لتجنب العالم كارثة حرب عالمية هو (اولاً) إيقاف الأعمال العدوانية و(ثانياً) انسحاب القوات الألمانية حالاً من الأراضي البولندية"^(٩).

في الساعة العاشرة صباحاً قابل السفير البولندي (زاتجنسكي) في لندن، لورد هاليفاكس وابلغه رسمياً بنياً العدوان الألماني وزاد يقول: "ان القضية واضحة كما نصت عليه المعاهدة". فأجاب وزير الخارجية: إنه لا يشك قط في الوقائع. وفي الساعة ٥٠، ١٠ صباحاً استدعى الوزير القائم بالأعمال الألماني (ثيودور كوردت) وسأله عما اذا تسلم معلومات ما. فأجاب (كوردت) ليست لديه أية معلومات عن الهجوم الألماني على بولندا. ولا تعليمات ما من حكومته وهنا صارحه هاليفاكس بأن التقارير التي وصلته "تخلق وضعاً خطيراً للغاية" وإنه لن يمضي أبعد من هذا. فقام (كوردت) بنقل المقابلة الى برلين تليفونياً في الساعة ٤٥، ١١ صباحاً. إذن فهتلر كان وقت الظهور يأمل أن لا تدخل بريطانيا الحرب على كل وان كانت تعتبر الموقف خطيراً. ولكن سرعان ما تلاشى امله هذا.

في الساعة ١٥، ٧ مساءً حين إتصل احد أعضاء السفارة البريطانية في برلين بوزارة الخارجية تليفونياً وطلب أن يعين وزير الخارجية موعداً لمقابلة (هندرسن) و(كولوندر) "في قضية هامة جداً وعاجلة بأسرع وقت ممكن" وقامت السفارة الفرنسية بإجراء مماثل بعد دقائق قليلة فرفض ريبنتروب مقابلة السفيرين معاً. واستقبل (هندرسن) في التاسعة ليلاً واستقبل (كولوندر) في العاشرة. وتسلم من السفير البريطاني مذكرة رسمية للحكومة البريطانية:

"[تقول المذكرة] .. إن لم تكن الحكومة الألمانية على إستعداد لإعطاء حكومة جلالته تأكيدات مقنعة بأن الحكومة الألمانية قد أوقفت كل عملٍ عدواني ضد بولندا، وهي مستعدة فوراً لسحب قواتها من الأراضي البولندية فان حكومة جلالته ستقوم بدون تردد بالوفاء بالتزاماتها تجاه بولندا"^(١٠)

ولم تختلف المذكرة الفرنسية عن اختها الإنكليزية حتى في الصيغة وكان جواب ريبنتروب

٩- المرجع السالف: الارقام ٦٥١ و ٦٥٢. الص ٤٧٩-٤٨٠.

١٠- النص هو في [وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج٧، ص٤٩٢] وفي الكتاب البريطاني الأزرق (ص١٦٨). ملاحظات الدكتور شميدت على تعليمات ريبنتروب لهندرسن وكولوندر هي في [وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٧، الص ٤٩٣ و ٤٩٥].

للسفيرين بأنه سيرعرض مذكرتيها على هتلر. ثم بدأ حديثاً طويلاً قال فيه انه "لا يوجد مشكلة عدوان ألماني" بل مشكلة عدوان بولندي وردد الكذبة التي أصبحت الآن مفضوحة مجموعة: وهي أن جنوداً "نظاميين" بولنديين هاجموا التربة الألمانية في اليوم السابق. مازالت الأصول الدبلوماسية الدقيقة محافظاً عليها ولم يفت السفير هندرسن ذكر هذه الظاهرة في تقريره لتلك الليلة واصفاً ريبنتروب بأنه "كان مجاملاً ومؤدباً" وفيهم كان يهتم بالإنصراف وقع نقاش بينهما حول هل كان وزير الخارجية يقرأ النص الألماني للمقترحات البولندية قراءة استعجال في إجتماعهما العاصف قبل ليلتين. قال (هندرسن) إن وزير الخارجية كان مستعجلاً. وادعى ريبنتروب أنه قرأها ببطء ووضوح، بل زاد على ذلك بتفسيرها له شفويًا وشرح النقاط الأساسية. وكان مقتنعاً أن هندرسن فهم كل شيء فيها" ولم تحسم نقطة النقاش فيما بينه. ابدأً لكن ماهو أثرها في الوقت الحاضر؟^(١١).

في مساء يوم (١) أيلول، فيم كانت الجيوش الألمانية تتوغل في بولندا (واللوفتوافه) تقصف وتقصف دون انقطاع ادرك هتلر من المذكرتين الفرنسية والبريطانية أنه سيواجه حرباً عالمية، إن لم يوقف جيوشه ويسحبها فوراً وهو ما لا يمكن التفكير فيه. أو هل ظل يأمل تلك الليلة أن حظّه، حظّه في مونيخ. سيقترن بالسعد أيضاً؟ ذلك لان صديقه موسوليني، وقد أفزعه دنو الحرب وارعبته فكرة قيام قوات أنكلو-فرنسية برية وبحرية متفوقة بالوثوب على إيطاليا، راح يحاول بجهد اليأس تدبير مونيخ أخرى.

- ٢ -

تدخل موسوليني في آخر لحظة

يذكر القاريء أن الدوتشي في رسالته المؤرخة ٢٦ آب التي تملص فيها من إلتزامات إيطاليا بموجب الميثاق الفولاذي، كان قد ألح على (الزعيم) بفسح السبيل لإحتمال "ايجاد حل سياسي" يكسب ألمانيا "منفعة مادية وادبية كاملتين"، فلم يتعب هتلر نفسه في مناقشة الأمر مع صديقه وحليفه، وهذا ماخيّب أمل شريكه الأصغر في المحور. مع ذلك قام موسوليني وتشيانو في ٣١ آب، كما رأينا، بالطلب من هتلر مقابلة السفير البولندي على الأقل، وابلغاه أنهما يحاولان حمل الحكومة البريطانية على الرضى بإعادة الدانزك "كخطوة أولى" في مفاوضات السلم وقد فعلا ذلك بعد أن أنذرهما سفيرهما في برلين بخطورة الموقف.

ولكن الوقت ماعاد يسمح لهتلر بأن تغريه وجية طعام صغيرة. ولم تكن الدانزك إلا حجة وذريعة كما قال لجنرالاته. ولم يكن يريد إلا سحق بولندا وإن جهل موسوليني الحقيقة. وفي الأول من أيلول ١١- رواية شميدت عن المناقشة في (وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج٧، ص ٤٩٣) ادلى هندرسن برواية مختصرة في تقريره مساء يوم ١ أيلول ١٩٣٩ (الكتاب البريطاني الأزرق ص١٦٩).

كان موسوليني نفسه يواجه أمرين عليه ان يختار بينهما. إما ان يعلن فوراً حياد إيطاليا أو يغامر بإحتمال هجوم أنكلو-فرنسي على بلاده. توضح يوميات ختنه المرعوب تشيانو اي كابوس كان يجثم على صدره. (١٢)

في الصباح الباكر من ١ أيلول اتصل الدكتاتور الإيطالي التاعس شخصياً بسفيره الإيطالي في برلين ويقول تشيانو بالحرف "إنه اشار عليه باقناع هتلر بأن يوجه اليه [اي الدوتشي] برقية يحله فيها من التزامات الحلف وواجباته (١٣).

فأسرع هتلر بطيبة خاطر إلى تلبية طلبه. وقبل أن يترك المستشارية إلى الرايخشتاغ في الساعة ٩.٤٠ صباحاً أرسل برقية لصديقه وتلفنت إلى السفارة الألمانية في روما إختصاراً للوقت:

ايها الدوتشي:

اشكرك شكراً لا مزيد عليه للعون الدبلوماسي والسياسي اللذين تدعم بهما ألمانيا وتساند قضيتها العادلة في الآونة الأخيرة، اني لمقتنع بأننا قادرون على انجاز مهمتنا التي فرضت علينا بالقوات العسكرية الألمانية. لذلك فأنا لا اتوقع ان تدعو الحاجة إلى العون العسكري الإيطالي في هذه الاحوال. واني لأشكرك ايها الدوتشي ايضاً على كل ماستفعله في المستقبل للقضية المشتركة، قضية الفاشية والقومية الإشتراكية.

أدولف هتلر (١٤)

في الساعة ١٢.٤٥ ظهراً بعد إلقاء هتلر خطابه في الرايخشتاغ وبعد أن تخلص من تأثير انفجاره العصبي بحضور من داليروس (على ما يبدو) مالت نفسه الى كتابة رسالة أخرى لموسوليني مصرحاً فيها أنه مستعد لحل المشكلة البولندية بطريق التفاوض "واني بقيت انتظر عبثاً يومين بطولهما مقدّم المفاوضات البولندي" وفي "اللية الأخيرة وحدها جرى اكثر من أربع عشرة حادثة خرق للحدود الألمانية" وانه لهذا السبب قرر "الآن مجابهة القوة بالقوة". واعرب مرة أخرى عن امتنانه لشريكه المخلص. و... "أنا اشكرك ايها الدوتشي على كل مجهوداتك. واشكرك بصورة خاصة على عرضك التوسط. إلا اني كنت من البدء مرتاباً في نجاح مثل هذه المحاولات اذ لو كان للحكومة البولندية اية نية في حسم

١٢- قرار موسوليني وصل بريطانيا فعلاً الليلة السابقة. في الساعة ١١.١٥ من صباح يوم ٣١ آب تسلمت وزارة الخارجية رسالة من سفيرها في روما السربرسي لورين "اتخذت الحكومة الإيطالية قرارها. إيطاليا لن تخوض حرباً ضد فرنسا أو إنكلترا... ابلغني تشيانو بذلك في الساعة ٢١.١٥ [٩.١٥ مساءً] بكل سرية" (و.س.ب.خ: ج٧، رقم ٦٢١، ص٤٥٩). في تلك الليلة أربع البريطانيون الظليان يقطعهم كل الإتصالات التلفونية مع روما بعيد الساعة الثامنة مساءً وخشي تشيانو ان تكون مقدمة لهجوم أنكلو-فرنسي.

١٣- يوميات تشيانو، ص١٣٥.

١٤- "وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٧، ص٤٨٣". بعد إجتماع مجلس الوزراء في روما اعلن الراديو الإيطالي في الساعة ٣٠.٤ ب.ظ بيان الحكومة "الى الشعب الإيطالي بان إيطاليا لن تتخذ اية خطوة في اي عملية عسكرية". وتلت ذلك حالاً رسالة هتلر لموسوليني يحل بها إيطاليا من التزاماتها، أذيعت مباشرة.

النزاع بصورة حُبية لفعّلت ذلك في اي وقت. إلا انها رفضت... ولهذا السبب لا اريد ايها الدوتشي تعريضك لخطر اضطلاعك بدور الوسيط الذي يبدو مضيعةً للوقت نظراً الى الموقف المتعنت الذي تقفه الحكومة البولندية^(١٥)."

التوقيع: أدولف هتلر

لكن موسوليني - باغراءٍ من تشيانو- قام بآخٍ محاولة يائسة لتعريض نفسه الى مخاطر مهمة الوسيط. كان تشيانو قبل يوم واحد قد اقترح على السفيرين الإنكليزي والفرنسي في روما أن يقوم الدوتشي في حالة موافقة حكومتيها - بدعوة ألمانيا الى مؤتمر في الخامس من أيلول لغرض "إعادة النظر في بنود معاهدة فرساي التي كانت علة المشاكل الحاضرة".

ربما ظن أن أنباء الغزو الألماني لبولندا صباح اليوم التالي للإقتراح الإيطالي جعلت إقتراحه عديم القيمة، ولدهشة الإيطاليين وجدوا أن (جورج بونيه) رئيس المهادنين يتلفن لسفيره في روما (فرانسو بونسيه) في الساعة ٤٥ ، ١١ صباح الاول من أيلول ويطلب منه ان يخبر تشيانو أن الحكومة الفرنسية رحبت بمؤتمر كهذا، شريطة ألا يتدخل في مشاكل بلادٍ غير ممثلة فيه والا يحدد عمله بايجاد "حلول جزئية أو مؤقتة لمشاكل فورية ومحدودة النطاق" ولم يذكر بونيه شيئاً عن إنسحاب القوات الألمانية أو حتى وقف زحفها كشرط لاقامة هذا المؤتمر^(١٦).

إلا ان البريطانيين ظلوا مصرين على هذا الشرط حتى نجحوا في حمل الحكومة الفرنسية المنشقة على نفسها بأن تنتهج نهجهم ليصبح ممكناً توجيه مذكرتين تحذيريتين متشابهتين الى برلين في مساء الأول من أيلول. ولما كانت نصوص هاتين المذكرتين قد اعلنت للملأ واصبح معلوماً أن الحكومتين البريطانية والفرنسية ستدخلان الحرب إلا اذا إنسحبت القوات الألمانية من بولندا، فما يستعري الإهتمام أن نرى موسوليني يتشبث تشبث اليأس بكل قشة - حتى بالقش الذي ليس يملكه لنجده في صبيحة اليوم التالي يرسل نداءً آخر لهتلر كأنما لم يأخذ التحذير الأنكلو-فرنسي مأخذ الجد! كان الثاني من أيلول كما وصفه هندرسن في تقريره الأخير. يوم قمة التوتر النفسي^(١٧). انتظر هو

١٥- المرجع السالف الص ٤٨٥-٤٨٦.

١٦- "بونيه: الى فرنسو بونسيه الساعة ٤٥ ، ١١ صباحاً (١) أيلول (الكتاب الفرنسي الأصفر) الطبعة الفرنسية الص ٣٧٧-٣٧٨. فصل مشروع موسوليني لمؤتمر ٥ أيلول في تقرير من فرانسوا بونسيه الى بونيه في ٣١ آب. المرجع السالف الص ٣٦٠-٣٦١:

طلب (بونيه) من سفيره (نوئيل) في وارشو مرتين في عصر يوم (١) أيلول أن يسأل (بيك) هل توافق بولندا على إقتراح إيطاليا بعقد مؤتمر. وتسلم الجواب في ساعة متأخرة من الليل "نحن الآن نخوض غمار حرب بسبب عدوان لا مبرر له والمسألة لم تعد مسألة مؤتمر وانما قضية عمل اجماعي يقوم به الحلفاء لمقاومته" رسالة بونيه وجواب بيك مثبتان في (الكتاب الفرنسي الأصفر). لم تشارك الحكومة البريطانية في جهود بونيه. وهناك محضر في وزارة الخارجية البريطانية مذيّل بتوقيع (ر.م. ماكينز R. M. Makins) ذكر فيه ان الحكومة البريطانية لم تستشر (بالإقتراح) ولم تبلغ به (و.س.ب.خ: ج، ٧، الص ٥٣٠-٥٣١.

١٧- في الليلة التي سبقت هذا التاريخ. وبناءً على تعليمات لورد هاليفاكس قام هندرسن باتلاف الجفرة الخاصة =

(وكولوندر) يقلق جواب هتلر على مذكرتيهما ولكن لم يرد شيء. ويعد الظهيرة بقليل وصل (أتوليكو) السفارة البريطانية وعليه علام العجلة واعلم هندرسن أنه يريد أن يفهم منه شيئاً واحداً. هل أن المذكرة البريطانية المقدمة ليلة أمس إنذاراً أم لا؟
وكتب هندرسن فيما بعد "قلت له أنني مخول ان أجيب وزير الخارجية الألماني عند سؤاله - أنه ليس إنذاراً نهائياً بل تحذير، ولكنه لم يسألني." (١٨)
بعد أن حصل السفير الإيطالي على جوابه أسرع الى قلنلمشتراسه. كان أتوليكو في العاشرة من صباح هذا اليوم قد جاء وزارة الخارجية حاملاً رسالة من موسوليني. ولما قيل له أن ريبنتروب يشكو وعكة، سلمها الى فايسبكر.

" ٢ أيلول ١٩٣٩

للمعلومات، ترغب إيطاليا أن يكون واضحاً (والأمر كله بالطبع مرهون بالزعيم) أنها مازالت تأمل في حمل بريطانيا وفرنسا وبولندا على الرضى بعقد مؤتمر على الأسس التالية:

- ١- هدنة تترك الجيوش حيث هي الآن.
- ٢- عقد المؤتمر خلال يومين أو ثلاثة.
- ٣- حسم الخلاف البولندي الألماني. بشكل يكون فيه نفع لألمانيا. نظراً لطبيعة الموقف الحالي. إن الفكرة التي كانت بالأصل من بدع الدوتشي. تعضدها فرنسا بصورة خاصة. (١٩)
الداينرگ اصبحت الآن الألمانية. وقد بات في يد ألمانيا الآن وعود تضمن لها اعظم جانب من إعداءاتها. واكثر من هذا أنها نالت "ثأرها الأدبي" وان قبلت بإقتراح عقد المؤتمر فستحقق كل اهدافها وتجنب الحرب في الوقت ذاته تلك الحرب التي تبدو حتى في الوقت الحاضر حرباً عامة طويلة الأمد جداً.
إن الدوتشي لا يقصد الإلحاح، لكن عرض المقترحات المدرجة اعلاه على (الزعيم) وريبنتروب هو أعظم سعادة له (٢٠).

فلا عجب أن نرى ريبنتروب الذي أبل فوراً من وعكته يقابل أتوليكو في الساعة ٣٠، ١٢ ظهراً ويقول له أن إقتراح الدوتشي لا يمكن "التوفيق" بينه وبين المذكرتين الأنكلو- فرنسية اللتين تسلمهما ليلة أمس، " وفيهما صفة إنذار نهائي".

فما كان من السفير الإيطالي (وحرصه على اجتناب حرب عالمية لا يقل عن حرص رئيسه بل يفوقه

= بالسفارة والوثائق السرية وطلب رسمياً من القائم بالأعمال الأمريكي "أن يتكرم لبرعى المصالح البريطانية في حالة نشوب الحرب" (الكتاب البريطاني الأزرق، ص ٢٢١).

١٨- تقرير هندرسن الأخير ص ٢٢.

١٩- يدعي تشيانو ان المذكرة ارسلت بناءً على "شدة إلحاح الفرنسيين" إلا ان هذا تضليل اكيد (يوميات تشيانو، ص ١٣٦). ومع أن يونيه كان يبذل أقصى ما في طوقه لعقد مؤتمر إلا ان موسوليني كان يفوقه في جهوده المستميتة.

٢٠- النص في (وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية) ج، ٧، الص ٥٠٩-٥١٠.

اخلاصاً) إلا ان قاطع ريبنتروب قائلاً ان التصريح الأنكلو فرنسي "قد بطل أثره بأخر رسالة للدوتشي" ولم يكن (أتوليكو) مخولاً بالطبع ليدلي بتصريح غير صحيح كهذا لكنه ظن في هذه الساعة المتأخرة أنه لن يخسر شيئاً إن قصر في مهام وظيفة وظل ثابتاً على وجهة نظره عندما أعرب وزير الخارجية الألماني عن شكه.

"[قال] إن تصريحَي البريطانيين والفرنسيين ماعادا الآن محل اعتبار فقد تلفن الكونت تشيانو في الساعة ٨,٣٠ من صباح هذا اليوم، أعني في الوقت الذي أذيع التصريحان من راديو إيطاليا. ويترتب على ذلك أنهما باتا في حكم الملعين. وبين الكونت تشيانو أيضاً أن فرنسا تحبذ بصورة خاصة إقتراح الدوتشي. إن الضغط يأتي الآن من فرنسا، لكن إنكلترا ستتبعها"^(٢١).

بقي ريبنتروب شاكاً. وقال أنه بحث قبل هنيهة مع هتلر، مقترحات موسوليني. وما يريد الزعيم معرفته هو: هل أن المذكريتين الأنكلو فرنسية إنذار؟ وأخيراً وافق على إقتراح المبعوث الإيطالي بأن يستفسر من (هندرسن وكولوندر) عن صفة المذكريتين.

وهذا هو السبب الذي حدا بأتوليكو الى زيارة السفارة البريطانية. كتب شميدت الذي كان يقوم بالترجمة فيما بعد. "مازال يراود مخيلتي شخص (أتوليكو) الذي لم يبق فيه عرق من عروق الشباب، وهو يركض ركضاً من غرفة ريبنتروب ويهبط الدرج مهطعاً للاستفسار من هندرسن وكولوندر... ثم يعود بعد نصف ساعة راكضاً كما خرج متقطع الانفاس لاهناً"^(٢٢).

وبعد ان التقط انفاسه أبلغ ريبنتروب بما قاله هندرسن حول المذكرة البريطانية مؤكداً انها ليست إنذاراً. فأجاب الوزير "في الوقت الذي لا يمكن أن يكون الجواب الألماني عن المذكريتين الأنكلو فرنسية إلا بالسلب، فان الزعيم يدرس مقترحات الدوتشي وإن أيدت روما بأن المذكريتين الأنكلو- فرنسية لاتتضمنان إنذاراً ما فسوف يكتب جواباً له خلال يوم أو إثنين". فألح (أتوليكو) بالرد في وقت أقصر وأخيراً وافق ريبنتروب على أن يتم اعداد الرد ظهر اليوم التالي. الموافق الأحد ٣ أيلول.

في هذا الوقت تحطمت آمال موسوليني في روما. ففي الساعة الثانية بعد الظهر استقبل تشيانو سفيرى بريطانيا وفرنسا وفي أثناء وجودهما اتصل تلفونياً بكل من لورد هاليفاكس ويونيه وابلغهما بمحادثات (أتوليكو) مع وزير الخارجية الألماني. وكان يونيه مجاملاً كالعادة. (وكما ذكر هو نفسه في الكتاب الفرنسي الأصفر) شكر تشيانو بحرارة على جهوده في سبيل السلم، أما هاليفاكس فكان اشد صلابة. أكد أن التصريح الأنكلو- فرنسي ليس إنذاراً (ان المرء ليدركه العجب من اختصام السياسة الشديد حول كلمة واحدة حيث أن التصريحين الأنكلو- فرنسي واضحان كل الوضوح. وعباراتها دقيقة لاتقبل تأويلاً). إلا أنه زاد يقول ان رأيه الشخصي في إقتراح موسوليني هو أن الحكومة البريطانية لايسعها قبوله الا اذا انسحبت الجيوش الألمانية من پولندا.

٢١- من ملاحظات شميدت الرسمية التي بني عليها هذا الجزء من الفصل. المرجع السالف، الص ٥١٢-٥١٣.

٢٢- شميدت، المرجع السالف ص ١٥٦.

وهو ما سكت عنه (بونيه) مرة أخرى. ثم وعد هاليفاكس أن يبلغ تشيانو قرار الحكومة البريطانية في الموضوع تلفونياً.

وصدر القرار بعيد الساعة مساءً. الحكومة البريطانية تقبل عرض موسولينى شريطة ان يسحب هتلر قواته الى ماوراء الحدود البولندية. وادرك وزير الخارجية الإيطالية أن هتلر لن يقبل قط بهذا "وألأ شيء يمكن عمله بعد الآن" كما ذكر في يومياته.

"[قال تشيانو] ليس من واجبي الجواب عن هتلر بأنه سيرفض ذلك رفضاً قاطعاً وربما يزدراء. قلت ذلك لهاليفاكس وللسفيرين وللدوتشي، وأخيراً اتصلت تلفونياً ببرلين واخبرتهم إننا سنتخلى عن المداومات إلا اذا نصحونا بعكس ذلك. إن نعمة السلام الأخيرة قد ماتت^(٢٣).

وهكذا نجد أتوليكو المرهق المحطم في الساعة ٨, ٥٠ من مساء يوم ٢ أيلول يجر قدميه مرة أخرى جراً الى قلهمشتراسه. وفي هذه المرة استقبله ريبتروب في المستشارية حيث كان يتبادل الحديث مع هتلر وتسجل وثيقة ألمانية مستولى عليها المشهد:

"حمل السفير الإيطالي رسالة وزير الخارجية التي تضمنت أن البريطانيين غير مستعدين للدخول في مفاوضات على الأسس التي وردت في إقتراح الوساطة الإيطالي. ان البريطانيين يطلبون قبل البدء بالمفاوضات الانسحاب الفوري لكل القوات الألمانية من أراضي بولندا التي إحتلتها ومن الدانزك...

وفي الختام ذكر السفير الإيطالي أن الدوتشي يعتبر إقتراح وساطته لا وجود له الآن وتسلم وزير الخارجية الرسالة من السفير دون تعليق^(٢٤).

لم توجه كلمة شكرٍ واحدة لأتوليكو الكادح على كل ما بذله من مجهود! إلا إزدراء الصمت تجاه حليف يحاول حرمان ألمانيا من اسلابها البولندية.

تلاشى الآن الإحتمال الطفيف باجتناح حرب عالمية ثانية. وكان ذلك واضحاً للجميع ماعداً ممثلاً واحداً في هذه الدراما. في الساعة التاسعة مساءً تلفن (بونيه) ذلك الوضع النفس، لتشيانو حتى يؤكد له مرة أخرى بأن المذكرة الفرنسية لألمانيا ليس فيها "صفة الإنذار". وكرر قائلاً أن الحكومة الفرنسية مستعدة للانتظار حتى ظهر يوم ٣ أيلول لتسلم الجواب الألماني. ومهما يكن، "ولأجل أن يحقق المؤتمر نتائج طيبة" فان الحكومة الفرنسية تنفق مع البريطانيين على وجوب قيام القوات الألمانية "بإخلاء" بولندا وكانت أول مرة يذكر (بونيه) ذلك، نزولاً عند اصرار البريطانيين. فأجاب تشيانو أنه لا يظن إمكان قبول الحكومة الألمانية بهذا الشرط إلا أن (بونيه) لم ييأس وجرب أثناء الليل محاولة التملص الأخيرة من إلتزامات فرنسا لبولندا المشخنة بالجراح. واثبت تشيانو هذه المحاولة الشاذة في اولى فقرات يوميته المؤرخة ٣ أيلول.

٢٣- يوميات تشيانو، الص ١٣٦-١٣٧.

٢٤- "وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية" ج٧، الص ٥٢٤-٥٢٥.

"في أثناء الليل ايقظتني الوزارة من نومي. لأن (بونيه) كان قد سأل غواريليا Guariglia [السفير الإيطالي في باريس] هل نستطيع أن نحصل على انسحاب رمزي للقوات الألمانية من بولندا؟... القيت الاقتراح في سلة المهملات دون أن أكلف نفسي عناء إبلاغه للدوتشي. لكن هذا يوضح أن فرنسا تتحرك نحو الإمتحان الأعظم بتردد تام وبدون اي حماسة^(٢٥).

-٣-

الحرب البولندية تنقلب الي: الحرب العالمية الثانية

نهار الأحد الموافق ٣ أيلول ١٩٣٩، كان يوماً من أيام نهاية الصيف الرائعة في برلين. الشمس مشرقة لتحجبها الغيوم والهواء منعش. كتبتُ في مفكرتي عنه "أنه من الأيام التي يهوى البرلينيون قضاءها في الغابات أو على ضفاف البحيرات القريبة". وفيما كان فجره ينفلق وصلت السفارة البريطانية برقية لورد هاليفاكس الى السر نفيل هندرسن يوصيه ان يطلب مقابلة وزير الخارجية الألمانية في الساعة ٩ صباحاً ويقدم له رسالة" أملي عليه نصها.

لقد بلغت حكومة جمبرلين خاتمة الطريق. وقبل حوالي إثنين وثلاثين ساعة أبلغت هتلر ان إنكلترا ستدخل الحرب إلا اذا سحبت ألمانيا جيوشها من بولندا فلم تتسلم جواباً. والآن باتت الحكومة البريطانية مصممة على الوفاء بعهدتها. في يوم أمس كان يخشى ان يعتمد هتلر التأخير في رده لإبتلاع اكبر قدر ممكن من أراضي بولندا اضافة الى اخذه الدانزك والممر ومناطق أخرى وحينئذ يقوم بإقتراح سلم الرجل "الشهم الكريم" المستند الى نقاطه الست عشرة^(٢٦).

وهذا ما ابلغه شارك كوربان Charles corbin السفير الفرنسي في لندن لبونيه المتردد في الساعة ٣، ٢ ظهراً.

واحباطاً لهذا الفخ إقترح هاليفاكس على الفرنسيين انه إن لم تُدل الحكومة الألمانية بجواب مرضٍ خلال الساعات القليلة القادمة على المذكرتين الأنكلو- فرنسية المؤرختين (١) أيلول، فالدولتان الغريبتان ستعلنان أنهما في حالة حرب مع ألمانيا. وعلى اثر اجتماع الوزارة البريطانية في عصر الثاني من أيلول حيث توصل الى قرار واضح، اقترح هاليفاكس بصورة خاصة أن يقدم الحليفان إنذاراً الى برلين في منتصف تلك الليلة بالذات. ينتهي أجله في السادسة من صباح الثالث من أيلول^(٢٧) إلا

٢٥- يوميات تشيانو، ص ١٣٧. ان دي مونزي de Monzie وهو شيخ فرنسي اندحاري النزعة يؤيد القصة في كتابه Ci-Devont الص ١٤٦-١٤٧.

٢٦- تقرير (كوربان): (الكتاب الفرنسي الأصفر) الطبعة الفرنسية ص ٣٩٥.

٢٧- هذا القسم مبني على (و.س.ب.خ) ج٧. حول يومي ٢-٣ أيلول. هناك ملخص ممتاز جداً في كتاب "حافة الحرب" سنة ١٩٣٩ نشره ارنولد وثيرونيكا توينبي مبني على وثائق وزارة الخارجية البريطانية السرية والمراجع الفرنسية الزهيدة المسورة. وكتاب نامبير "تمهيد دبلوماسي" هو ايضاً مفيد. لقد استغثت عمداً عن اثبات المراجع في =

أن (بونيه) صم اذنيه عن سماع أي نصح بهذا العمل الأهوج. والواقع أن الوزارة الفرنسية المنشقة على نفسها انشقاقاً شديداً كانت تعاني فترة عصبية خلال الأسبوع المنصرم في محاولاتها التوصل الى قرار يحقق الوفاء بالتزامات فرنسا ازاء بولندا، وبريطانيا بالدرجة الأولى. وفي اليوم الثالث والعشرين النحس من شهر آب قرعتها أنباء وصول ريبنتروب الى موسكو لبرام ميثاق عدم اعتداء سوثيستي- نازي فاقنع بونيه رئيس الوزراء دالاديهي بعقد جلسة لمجلس الدفاع الوطني للبت فيما ستفعله فرنسا^(٢٨). وقد حضره خلاف بونيه ودالاديهي وزراء القوات المسلحة الثلاثة. والجنرال كاملان وقادة الجيش والأسطول والطيران العامون، وأربعة جنرالات آخرون- فكان عددهم إثني عشر. وتوضح المحاضر أن دالاديهي طرح اسئلةً ثلاثة:

اولاً: هل يمكن أن تبقى فرنسا ساكنة في حين تمحي بولندا ورومانيا (او احدهما) من خارطة أوروبا؟
ثانياً: ماهي الوسائل التي تملكها للحيلولة دون هذا؟
ثالثاً: ماهي الإجراءات التي يجب اتخاذها الآن؟

بعد أن شرح (بونيه) خطورة الأحداث طرح سؤالاً بقي يحتل طليعة افكاره الى الأخير: "بعد تأمل ملي في الموقف أكون الأفضل لنا أن نظل مخلصين لتعهداتنا وندخل الحرب حالاً. أو أن نعيد النظر في موقفنا ونتتفع بالمهلة التي سنحصل عليها جراء ذلك...؟ ان الجواب على هذا السؤال هو بالجوهري عسكري الطابع.

وعندما توجهت الانظار الى (كاملان) والأميرال دارلان Darlan أجابا بمايلي: "ان الجيش والأسطول على إستعداد. وفي اولى مراحل الحرب لن يكون تأثيرهما كبيراً على ألمانيا. إلا أن النفير العام الفرنسي سيؤدي بحد ذاته إلى تخفيف الضغط عن بولندا نوعاً ما باحتجاز جانب كبير من الوحدات الألمانية على حدودنا.

"... وسئل الجنرال كاملان، كم من الوقت يخمن أن بولندا ورومانيا ستصمدان فاجاب يعتقد أن بولندا ستصمد صموداً مشرفاً، مما سيمنع مجموع القوات الألمانية من التحول نحو فرنسا قبل الربيع القادم. وعندئذ ستكون، بريطانيا العظمى الى جانبها^(٢٩).

= مواضعها وهي عشرات من وثائق (و.س.ب.خ) لثلا أملاً الصحائف بالارقام.

٢٨- وقائع الجلسة الى دونها الجنرال دكامب Decamp. رئيس مجلس دالاديهي العسكري ظهرت في محاكمة ريوم Riom. ولم يعرض المحضر لأحد من أعضاء المجلس للتنقيح في وقتها. ويدعي الجنرال كاملان في كتابه Servie انها مقتضبة الى الحد الذي اصيحت مضللة. الا ان الجنرال الأكبر يؤكد خطواتها الرئيسة.

٢٩- أيد كاملان في كتابه انه تردد في توجيه الإهتمام الى بعض مواطن الضعف العسكري الفرنسية لأنه لم يثق ببونيه. واورد مقاله له دالاديهي فيما بعد "لقد اصبت بعملك. ولوأنك كشفت عن مواطن الضعف لوصلت الى علم الألمان في اليوم التالي". وادعى كاملان ايضاً (في كتابه) انه اشار فعلاً الى ضعف موقف فرنسا العسكري في المؤتمر. ويقول انه شرح الأمر: "لو ان ألمانيا قضت على بولندا، ثم ألقت بكل ثقلها على فرنسا فستكون فرنسا في وضع عسير". وقال "وفي هذه الحالة لايعود بإمكان فرنسا الدخول في المعركة... وعند مجيء الربيع وبمساعدة بريطانيا والامدادات الامريكية أوصل ان نكون في مركز نستطيع معه خوض معركة دفاعية (إذا ألبأتنا الضرورة طبعاً). واضفت الى =

ويعد حديث طويل، وصل الفرنسيون أخيراً الى قرار وثبت حالاً في محضر الجلسة:
"بنتيجة المداولة. وجد أننا لو زدنا قوةً في غضون أشهر قليلة فإن ألمانيا ستحصل من هذه
الفترة على اكثر مما وصلنا اليه لأنها ستسيطر على موارد بولندا ورومانيا بلا منازع.
لذلك ليس لفرنسا مجال اختيار.

"الحل الوحيد... التمسك بعهودنا لبولندا قبل المفاوضات التي بدأت مع الإتحاد السوفياتي."
بعد أن صح عزم الحكومة الفرنسية على هذا، شرعت في العمل وعلنت حالة الاستنفار عقب
الإجتماع مباشرة (٢٣ آب). الأمر الذي وضع كل قوات الحدود في مواقعها الحربية. وفي اليوم
التالي دعي الى الخدمة (٣٦٠٠٠٠) مقاتل من الاحتياط. وفي ٣١ آب أصدرت الوزارة بياناً رسمياً
اعلنت فيه أن فرنسا "ستفي وفاءً تاماً" بالتزاماتها. وفي اليوم التالي - يوم الهجوم الألماني على
بولندا أفتع هاليفاكس (بونيه) بتوحيد إنذاري الدولتين وتقديمه معاً الى حكومة برلين. وفيه أن
بريطانيا وفرنسا ستكونان امينتين على عهدهما مع حليفتهما.

لكن الجنرال غاملان وهيئة أركان الحرب العامة الفرنسية أحجموا عندما ألح البريطانيون على توجيه
إنذار نهائي إلى هتلر في (٢) أيلول. لامراء في أن الفرنسيين هم وحدهم سيتحملون عبء القتال إن
اختار الألمان الهجوم في الغرب حالاً ولن يجدوا الى جانبهم جندياً بريطانياً واحداً. وأصرت دائرة
الأركان العامة على مهلة ثمان وأربعين ساعة أخرى لإنجاز التعبئة العامة دون عائق.

في الساعة السادسة مساءً تلقن هاليفاكس للسير اريك فيبس Sir Eric Phipps السفير البريطاني في
باريس: "ثمان وأربعون ساعة أمر مستحيل لاتطبيقه الحكومة البريطانية. ان الموقف الفرنسي يحرج
حكومة جلالته للغاية".

وفعلاً وصل الإحراج حد الخطورة بعد ساعتين فقط عندما نهض چمبرلين ليخاطب مجلس عموم باتت
اغلبية أعضائه بصرف النظر عن الاحزاب التي تنتمي اليها، ساخطة على تلكو الحكومة في البر
بعهودها. ولم يعد في قوس صبرهم منزع بعدما تكلم رئيس الوزراء فأبلغ المجلس المستاء انه لم يرد
جواب من برلين حتى الآن فإن لم يرد حاوياً تأكيدات الألمان بالانسحاب من بولندا، فإن الحكومة "لا
سبيل لها إلا اتخاذ الإجراءات" وإن وافق الألمان على الإنسحاب. فإن الحكومة البريطانية ستكون رغبة
في "أن تنظر الى الوضع مثلما كان قبل عبور القوات الألمانية الحدود البولندية". وقال ايضاً، إن الحكومة
في الوقت نفسه على إتصال دائم بفرنسا لتعيين الوقت المحدد للإنذار الذي سيوجه الى ألمانيا.

بعد الثلاثين والتسع ساعات من الحرب في بولندا، لم يكن المجلس في مزاج يتمكن معه من تقبل
هذه المناورات التعويقية. وبدا له أن ريحاً مونيخية خبيثة تهب عليهم من مقاعد الحكومة فصاح

= هذا قولي: انه لا يمكن لنا أن نأمل بالنصر إلا بعد حرب طويلة الأمد. لقد كان من رأيي دائماً أننا لانستطيع قط ان
ننقلب إلى حالة الهجوم بأقل من سنتين تقريباً... اعني في ١٩٤١-١٩٤٢". إن نظرات الجنرال الاكبر الفرنسي
المرتدة الحذرة تفسر كثيراً احداث التاريخ القادمة.



الأميرال دارلان

(ليوپولد اميري Leopolod Amery) من مقاعد المحافظين: "تكلم من أجل إنكلترا!" بينما وقف للكلام وكيل زعيم المعارضة العمالي (آرثر كرينوود Arther Greenwood) فقال: "إن العجب ليدركني، إلى كم نحن نتذبذب ونتأرجح في وقت باتت بريطانيا وكل ما ترعاه بريطانيا والحضارة البشرية في خطر... يجب علينا أن نتقدم مع الفرنسيين..."

تلك هي الورطة. لقد تبين في هذه اللحظة أنه يصعب حمل الفرنسيين أنفسهم على التقدم. إلا ان چمبرلين كان مضطرب النفس للغاية بسبب مزاج مجلس العموم الغاضب بحيث تدخل في المناقشة الحادة ليقول: انه يتطلب وقت لإقرا "العلم بالعمل مع باريس وتنسيق الافكار مع التطبيق عن طريق التلفون". واضاف يقول: "إنني لأستنكر واستفزع أن

يظن المجلس لحظة واحدة بأن البيان الذي أدليت به أمامهم ينم عن أقل ضعفٍ سواء من جانب هذه الحكومة أو من جانب الحكومة الفرنسية" وسيصلنا نبأ عنها في "الساعات القلائل التالية". وعلى كل حاول التأكيد لأعضاء المجلس الثائرين "أومل ألا يكون هناك إلا جواب واحد سأقدمه للمجلس غداً... واثقاً أن المجلس... سيصدقني ويؤمن اني أتحدث باخلاص تام". إن معالجة أفسى محنة واعظمها في تاريخ بريطانيا تم الإفصاح عنه كما قال (ناميه) بتلكو فريد في بابه".

كان چمبرلين يدرك إدراكاً جيداً (كما توضحه الوثائق السرية البريطانية) بأنه على خلاف عميق مع شعبه وأن حكومته في هذه اللحظة الحرجة من حياة بلاده - معرضة الى خطر التنحية. ما أن غادر مجلس العموم حتى اتصل بدالدييه. وكان زمن المكالمة المسجل ٩٠, ٥٠ مساءً. وقد دون المنصت الى الحديث صورة له للحفظ:

چمبرلين: الوضع هنا خطير جداً... حدث مشهد ساخط في مجلس العموم... وإن اصرت فرنسا على مهلة ثمان وأربعين ساعة تبتديء من منتصف يوم الغد، فمن المستحيل على حكومتي ان تمسك بزمام الموقف هنا.

وقال رئيس الوزراء انه يدرك تماماً أن فرنسا هي التي ستحمل عبء الهجوم الألماني. الا انه واثق بوجود اتخاذ خطوة ما في هذا المساء.

واقترح حلاً وسطاً؛ إنذار يقدم في الساعة الثامنة من صباح الغد... وينتهي أمده ظهر اليوم نفسه.

اجاب دالادييه: إن لم تكن القاصفات الإنكليزية مستعدة للعمل فوراً فمن الأفضل لفرنسا أن تؤخر إن أمكن، الهجمات على الجيوش الألمانية بضع ساعات.

وبعد أقل من ساعة، (٣٠، ١٠ ليلاً) اتصل هاليفاكس تليفونياً (ببونييه). وألح بالفرنسيين للموافقة على الحل الوسط البريطاني أي ان يُقدم إنذار نهائي الى برلين في الثامنة من صباح الغد (٣ أيلول) ينتهي اجله ظهر اليوم نفسه. ولم يوافق وزير الخارجية الفرنسي واحتج لهاليفاكس بأن الالحاح البريطاني على هذا الإسراع قد يخلق "إنطباعاً غير مستحب" وطلب من لندن التريث حتى الظهر على الأقل، قبل تقديم اي إنذار لهتلر.

"هاليفاكس: هذا مستحيل! يتعذر عل حكومة جلالته الانتظار حتى تلك الساعة... من المشكوك فيه جداً أن تستطيع الحكومة [البريطانية] السيطرة على زمام الموقف هنا".

كان موعد الجلسة التالية لمجلس العموم ظهر يوم الأحد الثالث من أيلول وكان واضحاً لجمبرلين وهاليفاكس من الجو الذي ساد جلسة السبت مساءً أن بقاء الحكومة مرهون باعطاء البرلمان الجواب الذي طلبه. وفي الساعة الثانية بعد إنتصاف الليل أُنذر السفير الفرنسي في لندن، وزيرَ خارجيته بأنَّ وزارة جمبرلين تخاطر بوجودها إن لم تقدم للبرلمان كلمة جازمة قاطعة. ولذلك اقترح هاليفاكس في ختام حديثه التلفوني مع بونييه أن تعمل "بريطانيا وحدها".

وصلت برقية هاليفاكس الى هندرسن في حوالى الرابعة فجراً.^(٣٠)

إن الرسالة التي كان سيبلغها الى الحكومة الألمانية نهار الأحد الساعة ٩ صباحاً (٣ أيلول)، تشير الى المذكرة البريطانية المؤرخة (١) أيلول التي صرحت الحكومة البريطانية فيها بعزمها على الوفاء بالتزاماتها الى بولندا إلا اذا سحبت القوات الألمانية من بولندا فوراً.

"واستطردت المذكرة] ومع أن هذه المذكرة قد سلمت منذ أربع وعشرين ساعة فلم يصل اي رد عليها، إلا ان هجمات الألمان على البولنديين استمرت وبصورة عنيفة، ولذلك لي الشرف لأبلغكم: إن لم تقدم الحكومة الألمانية في زمن لايتعدى الساعة ١١ صباحاً بتوقيت بريطانيا الصيفي من هذا اليوم الثالث من أيلول - تأكيدات مقنعة الى حكومة صاحب الجلالة في لندن بإنجازها ما ذكر اعلاه،

٣٠- أرسل وزير الخارجية الى هندرسن برقيتين تحذيريتين أثناء الليل. الأولى في ١١، ٥٠ ليلاً. وهذا نصها: "ربما ارسلت اليك تعليمات هذه الليلة للإلتصال الفوري بالحكومة الألمانية. ارجو ان تكون على إستعداد للعمل. ومن الأفضل ان تخطر مقدماً وزير الخارجية بأنك قد تطلب مواجهته في اية لحظة". وقد يبدو من هذه البرقية أن الحكومة البريطانية، لم تحزم أمرها بعد على قرار معين تقوم به بمفردها رغم موقف الفرنسيين. لكن هاليفاكس ابرق الى هندرسن ثانية في الساعة ٢٥، ١٢ بعد نصف الليل (٣ أيلول): "عليك ان تطلب موعداً لمقابلة وزير الخارجية في الساعة التاسعة من صباح يوم ٣ أيلول الموافق الأحد. التعليمات آتية اليك"; (برقيتا هاليفاكس الى هندرسن في الساعة ٥٠، ١١ ليلاً (٢ أيلول) و.س.ب.خ: ج.٧، رقم ٧٤٦، ص٥٢٨، وفي الساعة ٢٥، ١٢ ليلاً (٣ أيلول) المرجع نفسه ص٥٣٣. ان البرقية الحاسمة من هاليفاكس هي المؤرخة (صباح يوم ٣ أيلول بتوقيت لندن ويقول هندرسن انه تسلمها في الساعة ٤ صباحاً (تقريره الأخير).

فإن حالة حرب ستقوم بين البلدين اعتباراً من تلك الساعة^(٣١).

في اولى ساعات فجر الأحد وجد هندرسن الإتصال بثلهلمشتراسه أمراً صعباً. وأعلم أن ريبنتروب لن يكون ميسوراً في الساعة التاسعة صباح الأحد، ألا أن بإمكانه ترك رسالته لدى الترجمان الرسمي الدكتور شميدت.

في هذا اليوم التاريخي إستيقظ الدكتور شميدت متأخراً. فبادر مسرعاً الى وزارة الخارجية بالتاكسي. ولمح السفير البريطاني وهو يصعد درج الوزارة، فاسرع بالدخول من باب جانبي وتمكن من التسلل الى مكتب ريبنتروب حالما ارسلت الساعة دقائقها التسع وفي الوقت الذي دخل هندرسن. كتب شميدت فيما بعد "دخل وعليه علائم الجذ الخطير وصافحني إلا أنه أبى الجلوس وظل واقفاً في وسط الغرفة"^(٣٢) وقرأ الإنذار البريطاني وسلمه لشميدت ثم ودعه وانصرف. وأسرع الترجمان الرسمي ينهب درجات الثلهلمشتراسه نهياً الى دار المستشارية حاملاً الإنذار. ووجد خارج مكتب (الزعيم) معظم أعضاء الوزارة وعدداً من كبار رجال الحزب وموظفيه مجتمعين منتظرين بقلق "أبناءه".

"كتب شميدت بعدئذٍ عند دخولي الغرفة الثانية وجدت هتلر جالساً وراء مكتبه وريبنتروب واقفاً قرب الشباك فنظرا الي معاً مستطلعين عند دخولي. وقفت على مسافة يسيرة من مكتب هتلر ثم بدأت أترجم الإنذار البريطاني ببطء. وكان الصمت عاماً عندما فرغت.

ظل هتلر جالساً بلا حراك وابصاره شاخصة الى أمام... وبعد هنيهة خيل لي انها دهر التفتت إلى ريبنتروب الذي بقي في وقفته قرب الشباك وسأله "ماذا الآن؟" ورشقه بنظرة وحشية كأنما يريد ان يشير الى أن وزير خارجيته ضلله بخصوص رد الفعل البريطاني المحتمل".

فأجاب ريبنتروب بهدوء: "أعتقد أن الفرنسيين سيسلمونا إنذاراً مشابهاً خلال ساعة"^(٣٣).

إنسحب شميدت بعد انجاز واجبه. وتوقف قليلاً في الغرفة الخارجية لإخبار الآخرين بما حصل. فران الصمت عليهم أيضاً ثم: "التفت إلى گورنگ وقال: إن خسرتنا هذه الحرب، فالله يرحمنا!".

ووقف گوبلز في زاوية وحيداً مشغول البال، كسير الحاطر وكان كل من في الغرفة مغموماً قلقاً^(٣٤).

في الوقت نفسه كان (داليروس) فريد عصره وأوانه، يقوم بأخر مجهود في هوايته الجديدة، في

٣١- (النص موجود في الكتاب البريطاني الأزرق ص ١٧٥، وفي "وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٧، ص ٥٢٩) ارسل هاليفاكس برقية اضافية في الساعة ٥ صباحاً يعلم السفير أن كولوندر لن يقدم رسالة مماثلة الى الحكومة الألمانية حتى ظهر اليوم (الأحد) وهو لا يدرى بتوقيت الإنذار الفرنسي لكنه يرجح أن يصدر في اي ساعة بين (السادسة والتاسعة) - وثائق وزارة الخارجية البريطانية، ج٧، رقم ٧٥٨، ص ٥٣٥.

٣٢- رواية شميدت في كتابه (المرجع السالف، ص ١٥٧) انظر ايضاً شهادته في نورمبرگ (محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج ١٠، ص ٢٠٠.

٣٣- شميدت (المرجع السالف، الص ١٥٧-١٥٨) ايضاً شهادته في نورمبرگ (محاكمات مجرمي الحرب الكبار) ج ١٠، الص ٢٠٠-٢٠١.

٣٤- المرجع نفسه.

سبيل الحيلولة دون ما لا مفر منه. في الساعة الثامنة صباحاً أعلمه فوريس بالإنذار البريطاني الذي قدم رسمياً بعدها بساعة. فأسرع الى مقر قيادة اللوفتوافه العامة لمواجهة غورنك وكما ورد في آخر رواية له في نورمبرگ، ناشده أن يعمل على أن يكون جواب ألمانيا على الإنذار البريطاني "معتدلاً" ثم اقترح علي أن يعلن الفييلدمارشال بنفسه قبل الساعة الحادية عشرة، عن إستعداده للسفر الى لندن بالطائرة "للتفاوض" وادعى السويدي في كتابه أن غورنك وافق على ذلك. ولم يذكر عن ذلك شيء في الوثائق الألمانية. ووضح الدكتور شميدت بأن غورنك لم يكن في مقره بعد التاسعة بدقائق وإنما كان في غرفة انتظار (الزعيم) بدار المستشارية.

وعلى اية حال، ليس هناك شك بأن الوسيط السويدي تلقن الى وزارة الخارجية البريطانية -ليس مرة واحدة بل مرتين- وفي المكالمات الاولى (الساعة ١٥ ، ١٠ صباحاً) تعهد من تلقاء نفسه أن يعلم الحكومة البريطانية بأن الرد الألماني على الإنذار البريطاني هو الآن في الطريق وأن الألمان مازالوا "مهتمين جداً بارضاء الحكومة البريطانية وتقديم تأكيدات مقنعة بألا يعتدوا على إستقلال بولندا!!" وهو يأمل أن تدرس لندن رد هتلر "درساً على اساس من حسن الظن" (٣٥).

بعد ذلك بنصف ساعة (٥٠ ، ١٠ صباحاً) قبل أن تنتهي المدة المحددة بالإنذار، بعشر دقائق. كان دايروس متصلاً بالتلفون الخارجي بوزارة الخارجية البريطانية، ليتقدم هذه المرة بإقتراح قيام غورنك -بموافقة هتلر- بالسفر حالاً الى العاصمة البريطانية، ولم يدرك أن الوقت قد فات على هذه الفرائد "الدبلوماسية إلا أن الوقت لم يطل به ليصحو على الحقيقة. فكان الجواب الذي تسلمه من هاليفاكس جازماً. قال له ان إقتراحه لا يمكن الأخذ به "لقد سئلت الحكومة الألمانية سؤالاً واضحاً محدداً، والمفروض فيها ان ترسل جواباً واضحاً محدداً". إن حكومة صاحب الجلالة لا يمكنها الانتظار لمباحثات أخرى مع غورنك" (٣٦).

فاقفل (دايروس) التلفون واختفى في زوايا التاريخ ليظهر مرة أخرى ولفترة قصيرة في محاكمات نورمبرگ بعد انتهاء الحرب - وقد روى في كتابه محاولته العجيبة لإنقاذ السلم العالمي (٣٧).

كان نبيل القصد، ناضل في سبيل السلم ووجد نفسه خلال لحظات في وسط اضواء مسرح تاريخ العالم الباهرة، لكنه كما جرى لكل امرء آخر تقريباً، غرق في لجة من الإضطراب كانت اقوى من أن تدعه يرى الأمور على حقيقتها وأقر في نورمبرگ أنه لم يكن يدرك كم خدعه الألمان.

بعد الحادية عشرة صباحاً بقليل وبإنقضاء اجل الإنذار، أرسل ريبنتروب بطلب السفير البريطاني

٣٥- وثائق وزارة الخارجية البريطانية، ج٧، رقم ٧٦٢، ص٥٣٧- ن:١.

٣٦- المرجع السالف.

٣٧- ظهر ظهوراً خاطئاً في ٢٤ أيلول. حين التقى بفوريس في (اوسلو). "ليتأكد فيما اذا كان يوجد امل في اجتناب حرب عالمية" على ماروى في محاكمة نورمبرگ قبل ان يؤمر بالسكوت. (محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج٩، ص٤٧٣).

ليسلمه الرد الألماني (بعد ان رفض مقابلته قبل ساعتين!): ويقول الرد أن الحكومة الألمانية ترفض "ان تتسلم أو تقبل، بل أن تطبق" ماجاء في الإنذار البريطاني. واورد بعدئذ تصريحات دعاية رخيصة مبتذلة قام بتدبيجها بسرعة -على ما يبدو- كل من هتلر وريبنترروب في غضون الساعتين المنصرمتين. وهي بالأصل مما ديج ونظم لخداع الشعب الألماني السهل الخداع. ترددت فيه كل الاكاذيب المألوفة لدينا الآن ومنها كذبة "الغارات" البولندية على الأراضي الألمانية. والقي اللوم على بريطانيا بكل ما حصل ورفض كل محاولة "لإرغام ألمانيا على سحب قواتها التي انما جردت وعبئت دفاعاً عن الرايخ" وصرح زيفاً وبهتاناً أن ألمانيا، رضيت بآخر المقترحات التي اعلنها موسوليني لإنقاذ السلم. مدعياً أن بريطانيا رفضتها. واتهم حكومة بريطانيا (بعد كل تنازلات چمبرلين) "بالدعوة الى القضاء التام على الشعب الألماني وابادته".

قرأ (هندرسن) الوثيقة (لقد وصفها فيما بعد: بالوثيقة التي زيفت فيها الوقائع تريباً تاماً) ثم عقب يقول "التاريخ هو الذي سيحكم اي جانب هو الملموم" فأجاب ريبنترروب أن "التاريخ سيق وأصدر حكمه على الوقائع" (٣٨).

كنت وافقاً في شارع فلهلمشتراسه أمام المستشارية في ساعات الظهر، عندما اعلنت مكبرات الصوت بصورة مفاجئة أن بريطانيا العظمى، قد اعلنت انها في حالة حرب مع ألمانيا (٣٩).

ولم يكن حولي من الناس مايزيد عن مائتين وخمسين واقفين يتشمسون وراحو ينصتون باهتمام إلى الإذاعة. وبعد أن انتهت لم أسمع همسة واحدة أو لفظاً. ظلوا مسمرين في أمكنتهم ذاهلين مصدومين وكان يصعب عليهم أن يتفهموا أن هتلر دفع بهم الى هاوية الحرب. ومالبت باعة الطبعات الخاصة من الصبيان أن نزلوا الى الشوارع برزمهم رغم ان اليوم أحد. في الواقع اني لاحظت انهم يوزعونها ولا يبيعونها فاخذت واحدة وكانت صحيفة "دويتشه الكماينه تزايتنگ". وعناوينها الضخمة تكاد تحتل صدرها من جانب الى جانب:

[الإنذار البريطاني يرفض]، [بريطانيا تعلن انها في حالة حرب مع ألمانيا]، [المذكرة البريطانية،

تطلب سحب قواتنا من بولندا]، [الزعيم يرحل الى الجبهة هذا اليوم]

٣٨- كانت العجلة الشديدة تبدو في صياغة هذه المذكرة الركيكة الى حد انها ختمت بالعبارة المضحكة التالية؟ "لقد أحطنا علماً بنية الحكومة البريطانية الواضحة في مذكرتها. وهي بالأصل نية السيد (كنغ هول) التي قضت على الشعب الألماني بحكم الفناء وبمصير اسوء مما ادخرته له معاهدة فرساي. ونحن بناءً على هذا، سند على كل عمل عدواني يصدر من إنكلترا بالسلح نفسه والاسلوب نفسه". لاشك وان الحكومة البريطانية لم تتبن اي نية من نوايا سيئفن كنگ هول Stephen King Hall وهو ضابط بحري متقاعد كان يكتب روايات خيالية عن مغامرات شخصية روائية بحتة، وكان هندرسن قد إحتج لدى وزارة الخارجية البريطانية على نشر مطبوعاته في ألمانيا. فرجت الحكومة البريطانية الناشر ان يكف.

٣٩- في الساعة الحادية عشرة صباحاً سلم (هاليفاكس) القائم بالأعمال الألماني مذكرة رسمية ورد فيها "لما لم تصل من الحكومة الألمانية تأكيد ما في الساعة ١٧٠، فلي عظيم الشرف بإبلاغكم ان حالة الحرب قد وجدت فعلاً بين البلدين من الساعة ١١ من صباح هذا اليوم الثالث من أيلول".

أما العنوان الذي وضع في صدر النص الرسمي، فقد بدا وكأن ريبنتروب أملاه بنفسه:
[المذكرة الألمانية تثبت جيمة بريطانيا]

وربما "صدق" بذلك الشعب الألماني السهل القياد والإنخداع. إلا أن التأليب الصحفي لم يولد أي شعور بالسخط على الإنكليز خلال ذلك اليوم. وعندما مررت بالسفارة البريطانية، وكانت حركة الانتقال منها جارية إلى فندق (آدلون) القريب في المنعطف لم أجد غير شرطي Schupo واحد يسير جيئة وذهاباً أمام البناية ولا يفعل شيئاً إلا هذا.

وتلكاً الفرنسيون قليلاً. وظل (بونيه) يتشبث بالوقت إلى آخر لحظة متعلقاً تعلقاً عنيداً بأمل قيام موسوليني بإطلاق عملية تسوية مع هتلر قد تحل فرنسا من التزاماتها. بل راح يناشد السفير البلجيكي لحمل الملك ليوبولد على استخدام نفوذه مع نفوذ موسوليني للتأثير على هتلر. وظل طوال السبت ٢ أيلول يتناقش مع أعضاء الوزارة ومع البريطانيين زاعماً أنه وعد تشيانو بانتظار الجواب الألماني (حتى ظهر الثالث من أيلول) على مذكرتي التحذير الأنكلو فرنسية المؤرخة ١ أيلول وأنه لا يسعه الإخلال بوعده. والحق يقال أنه أعطى تأكيدات لوزير الخارجية الإيطالي. ولكن أجل الموعد لم يكن يتعدى التاسعة من مساء ٢ أيلول في ذلك الوقت كان إقتراح الدوتشي بعقد مؤتمر قد أصبح ميتاً كالحجر الأضرم وكما حاول تشيانو أن يفهم (بونيه). وفي تلك الساعة - أيضاً كان البريطانيون يناشدونه تقديم إنذار نهائي إلى برلين في منتصف الليل.

قبل منتصف ليل ٢ أيلول بقليل حزمت الحكومة الفرنسية أخيراً أمرها وابتق بونيه إلى كولوندر في برلين بأن يقدم صباح الغد شروط "التحذير الثاني" إلى قلهلمشتراسه في الساعة ١٢ ظهراً^(٤٠). فنفذ الأمر في الساعة ٢٠. ١٠ صباح الأحد ٣ أيلول، قبل انتهاء أجل الإنذار البريطاني بأربعين دقيقة. وكان الإنذار الفرنسي مشابهاً في الصيغة باستثناء موضوع واحد أن الحكومة الفرنسية تصرح في حالة الأجابة السلبية - بأنها ستعنى بالتزاماتها لپولندا "وهي الإلتزامات التي تعرفها الحكومة الألمانية" حتى في هذه المرحلة الحتمية. أبقى بونيه أن يتخذ الصيغة المألوفة لإعلان الحرب.

يذكر الكتاب الأصفر الفرنسي الرسمي أن نص الإنذار الفرنسي الذي أوبرق إلى (كولوندر) جعل الساعة الخامسة فجرأ نهاية مدة الإنذار - إلا أن هذا الموعد لم يكن الساعة التي ثبتت في البرقية الأصلية. ففي الساعة ٤٥، ٨ صباحاً أبلغ السفير (فيسس) هاليفاكس من باريس:

"يقول لي بونيه أن التوقيت الفرنسي للإنذار سينتهي في الساعة الخامسة من فجر يوم الإثنين [٤ أيلول]". وهذا هو الوقت الذي ذكر في برقية بونيه.

ومع أن الأجل المضروب للإنذار كان فيه امتياز انتزعه دالاديه انتزاعاً من هيئة الأركان العامة الفرنسية - في يوم الأحد صباحاً، بعد أن ظلت مصررة على ثمان وأربعين ساعة كاملة تبدأ من وقت

٤٠- بل حتى بعد هذا قام بونيه (انظر ما سبق) بمحاولة الدقيقة الأخيرة لإبعاد فرنسا عن الحرب، بإقتراحه على الإيطاليين أثناء الليل أن يحملوا هتلر على تدبير إنسحاب "رمزي" من پولندا.

تقديم الإنذار الى برلين ظهراً، إلا أنه ضايق الحكومة البريطانية وأزعجها حتى أنها صارت باريس باستيائها بصيغة فاضحة قبل ظهر اليوم. ولذلك بادر دالادييه ببذل مجهود أخير مع العسكريين فزار الجنرال كولستون Colston في هيئة الأركان في الساعة ٣٠, ١١ صباحاً والح ان يختصر الوقت المحدد. فوافق الجنرال متردداً على خصم إثنى عشرة ساعة أي جعله في الساعة ٥ فجراً. وهكذا فما كاد (كولوندر) يهم بترك السفارة الفرنسية في برلين قاصداً فلهمشتراسه حتى اتصل به (بونيه) تلفونياً وأشار عليه أن يقوم بإجراء التعديل الضروري على ساعة الصفر^(٤١).

ولم يكن ريبنتروب موجوداً في الوزارة ظهر اليوم. فقد كان يشارك في حفلة صغيرة اقيمت بدار المستشارية احتفاءً بالسفير السوفيتي الجديد الكساندر شكفارزيف Alexander Shkvarzev، حيث استقبله (الزعيم) بحرارة - وكانت مناسبة أضفت على يوم الأحد التاريخي هذا في برلين لوناً شاذاً. وأصر (كولوندر) على تطبيق تعليماته حرفياً بالحضور الى فلهمشتراسه في الساعة الثانية عشرة ظهراً بالضبط، فاستقبله (فايسيك) وعندما سأله السفير هل أن وكيل الوزارة مخول باعطاء "جواب مقنع" للفرنسيين أجاب فايسيك أنه ليس في موقف يتمكن من اعطاء "أي جواب كان" وتبع ذلك هزلية دبلوماسية صغيرة في هذه الساعة الخطيرة. فعندما حاول (كولوندر) اعتبار جواب (فايسيك) رداً ألمانياً سلبياً توقعه فعلاً وان يسلمه إنذار فرنسا الرسمي، رفض فايسيك قبوله ورجا السفير "أن يتكرم بالانتظار فترة قصيرة أخرى ليقابل وزير الخارجية شخصياً" فخاب - ولم تكن الخيبة الأولى وبقي ينتظر حوالي نصف ساعة. حتى اذا ازفت الساعة ٣٠, ١٢ ظهراً طلب منه الذهاب الى المستشارية لمقابلة ريبنتروب^(٤٢).

ومع ان وزير الخارجية النازي كان يعرف مهمة السفير، فانه لم يدع الفرصة تمر وهي آخر فرصة تعن، دون أن يتحف المبعوث الفرنسي بنموذج من مراوغاته المألوفة في عالم التاريخ. فبعد أن نوه بأن موسولينني أثناء تقديم مقترحاته السلمية قد أوضح ان فرنسا وافقت عليها وان ألمانيا "أبلغت الدوتشي يوم أمس أنها أيضاً مستعدة" للموافقة على الإقتراح. ولكن بعد مرور ساعات من اليوم نفسه أبلغنا الدوتشي أن إقتراحه قد أفسده التدخل البريطاني". إلا أن (كولوندر) كان قد سمع الكفاية من اكاذيب ريبنتروب وتزييفه طوال الاشهر الماضية. وبعد أنه أصغى فترة أخرى اليه وهو يعرب عن أسفه لسير فرنسا على نهج بريطانيا وأن ألمانيا ليس لديها نية في مهاجمة فرنسا. وصل إلى السؤال الذي جاء ليطرحة: هل تعني ملاحظات وزير الخارجية أن رد الحكومة الألمانية على المذكرة الفرنسية المؤرخة (١) أيلول هو السلب؟ فأجاب ريبنتروب "نعم!" وهنا قام السفير بتسليم وزير الخارجية الإنذار الفرنسي مصدراً اياه بالمقدمة: "للمرة الأخيرة" يجب عليه أن يبين "مسؤولية حكومة

٤١- هذا ماوراه بونيه بالذات: المرجع السالف، الص ٣٦٥ - ٣٦٨.

٤٢- تقرير فايسيك عن الاجتماع "وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج٧، ص ٣٥٢.

الرايخ الضخمة" في الاغارة على بولندا "دون إعلان الحرب عليها"، وفي رفض الطلب الأنكلو-فرنسي بسحب القوات الألمانية فقال ريبنتروب "اذن فستكون فرنسا الدولة المعتدية". فأجاب كولوندر "الحكم في هذه القضية للتاريخ وحده". في نهار الأحد هذا، يظهر أن كل المشاركين في الفصل الأخير من هذه التمثيلية في برلين راحوا يحتكمون الى التاريخ.

* * *

مع أن فرنسا في الوقت الراهن كانت تحشد جيوشاً تحقق التفوق الساحق، على القوات الألمانية في المغرب، فإن بريطانيا العظمى؟ بجيشها الحاضر الذي لا يعد شيئاً مذكوراً؟ كانت تحتل الحيز الأكبر من رأس هتلر المتلاطم المصطخب بوصفها العدو الأساسي والحصم المسؤول وحده تقريباً عن المفازة الصعبة التي وجد نفسه فيها، هذا ما كان يشعر به ويوم ٣ أيلول ١٩٣٩ يتلاشى ويدخل بطون التاريخ. وقد كشف عن ذلك في بيانين اصدرهما بعد ظهر اليوم الى الشعب الألماني والى جيش الغرب. فجر فيهما حقه المرير وغيظه الهستيرى على البريطانيين:

ففي: "نداء الى الشعب الألماني" قال: ظلت بريطانيا العظمى قروناً تتابع هدف إخضاع الشعوب الأوروبية وجعلها عديمة الحيلة ازاء السياسة البريطانية الهادفة الى السيطرة على العالم... [و] ادعت حق الهجوم على تلك الدولة الأوروبية وتخطيطها متذرة بحجج واهية لأن تلك الدولة في الوقت الحاضر تمثل أعظم خطر عليها... لقد كنا نحن أنفسنا شهوداً عدولاً لسياسة التطويق... انتهجتها بريطانيا العظمى ضد ألمانيا منذ ما قبل الحرب... إن مثيري الحروب البريطانيين.. اضطهدوا الشعب الألماني بمعاهدة فرساي المفروضة فرضاً..."

وفي النداء الذي وجهه الى الجنود الذين ظلوا عدة أسابيع لا يواجهون إلا الجيش الفرنسي، قال: ياجنود جيش الغرب!... إن بريطانيا العظمى قد سلكت سياسة تطويق ألمانيا... إن الحكومة البريطانية بتحريض من تجار الحروب الذين عرفناهم في الحرب الأخيرة قد قرروا اماطة اللثام عن أوجههم وتمزيق اقنعتهم بإعلان الحرب متعللين بحجج واهية..."

ولم يذكر فرنسا بكلمة واحدة.

وفي لندن واجه وجمبرلين مجلس العموم في الدقيقة السادسة بعد الساعة الثانية عشرة وأبلغه أن بريطانيا هي الآن في حالة حرب مع ألمانيا. ومع أن هتلر اصدر بتاريخ ١ أيلول أمراً بمنع الاستماع الى الإذاعات الاجنبية وفرض عقوبة الموت على المخالفين. فقد التقطنا في برلين كلمات جمبرلين كما نقلتها دار الإذاعة البريطانية. وقد وجدنا نحن الذين رأيناه يقامر بحياته السياسية في كودسبرغ ومونيخ لإسكات هتلر، ان كلماته كانت حادة لاذعة.

"يومنا هذا يوم كئيب للجميع وليس ثم كائن يفوقني شعوراً بالكآبة فيه. كل ما جاهدت لأجله، كل

ما ماأمنت به طوال حياتي السياسية تحطم وتقوض. ولم يتبق لي من عملٍ إلا أن اوقف ماتخلف في
كياني من قوة ونشاط لتحقيق النصر. نصر القضية التي يجب علينا أن نضحى من أجلها الكثير...
وأتمنى ان اعيش لتكتحل عيني باليوم الذي أرى فيه الهتلرية تتحطم، وأن يعاد إنشاء أوروبا حرة".
ولم يشأ القدر أن يعيش چمبرلين ليرى ذلك اليوم فقد قضى نحبه رجلاً محطماً يائساً -وان ظل
عضواً في الوزارة حتى التاسع من تشرين الثاني ١٩٤٠ ولانجد بعد كل ماورد عنه في هذه الصفحات
إلا أن نثيت هنا ما قال چرچل في رثائه. وهو الذي كان قد حرمه من معالجة شؤون الشعب البريطاني
أمدأً طويلاً فما لبث أن خلفه في رأسه الوزارة في ١٠ أيار ١٩٤٠. قال چرچل في تأبينه في مجلس
العموم بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠:

"... في واحدة من أعظم الأزمات التي عاناها عالمنا، قضت الأقدار على نثيل چمبرلين أن تتجاذبه
الأحداث ويصاب بخيبة الآمال ويقع ضحية غش وخداع رجل شرير. لكن ما هي آماله التي آلت الى
الخيبة؟ ماهي رغباته التي أخفق في تحقيقها؟ ماهو ذلك الإيمان الذي لحقته الإهانة؟ لاشك انها من
أسمى وأنبيل وأفضل عواطف القلب البشري. انها حب السلم والعمل في سبيل السلم، الجهاد في
سبيل السلم الى حد التعرض الأعظم المهالك، والإزدراء التام بالشهرة والمجد".

بعد أن فشلت دبلوماسية هتلر في إبعاد بريطانيا عن ميدان القتال. أولى إهتمامه الشؤون
العسكرية في ساعات العصر. فأصدر الأمر السري للغاية المرقم (٢) لادارة الحرب. جاء فيه: رغم
إعلان فرنسا وبريطانيا الحرب "فأن الهدف العسكري الألماني يبقى في الوقت الحاضر، انها العمليات
سريعاً في بولندا بتحقيق الظفر... في الغرب تترك المبادأة بالأعمال العدوانية للعدو... ضد إنكلترا
يسمح بالهجوم البحري" ولايهاجم سلاح الجو الألماني اي هدف حتى القوات البحرية إلا اذا بادأ
البريطانيون باعمال مماثلة على اهداف ألمانية- وعندئذ يرد عليها في حالة كون احتمالات النجاح
كبيرة بنوع خاص" وصدر الأمر بتوجيه كل الصناعة الألمانية الى الاقتصاد الحربي^(٤٣).

وفي الساعة التاسعة مساء غادر برلين كل من هتلر وريبنتروب في قطارين خاصين منفصلين
متجهين الى مقر القيادة العامة في الشرق لم يسافرا إلا بعد أن أقدموا على عمليتين دبلوماسيتين. إن
فرنسا وإنكلترا هما الآن في حرب مع ألمانيا لكن هناك دولتين معظمتين آخرين في أوروبا شجعته
مساندتهما على تنفيذ مغامرته، وعليه الآن أن يتولى أمر الإهتمام بها: إيطاليا حليفته التي ألوت
برأسها عنه في آخر لحظة وروسيا السوفيتية التي (وإن كان الدكتاتور النازي يشك في نواياها)
طوقته بفضلها اذ جعلته يقامر في حرب تسوى المقامرة.

وقبل مغادرته العاصمة بعث برسالة الى موسوليني. أرسلها بريقياً في الساعة ٨, ٥١ مساءً قبل
حركة قطاره الخاص بتسع دقائق. هذه الرسالة رغم شائبة عدم الصراحة ووجود الكذب فيها، تعرض
أفضل صورة يمكن أن نتحف بها مخيلتنا لأدولف هتلر في اول رحلة له من عاصمة الرايخ الثالث
٤٣- النص في (وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج ٧، الص ٥٤٨ - ٥٤٩).

المكفهرة، لتسلم دوره بوصفه رب الحرب الألماني الأعلى. وقد عشر عليها بين الأوراق النازية المضبوطة.

أيها الدوتشي: "وجب علي ان اشكرك أولاً لمحاولتك الأخيرة في الوساطة. لقد كنت على استعداد للقبول لو وجدت احتمالاً صغيراً يعطيني نوعاً من الضمان بنجاح المؤتمر. ذلك لأن القوات الألمانية مشتبكة منذ يومين وهي تتقدم متوغلة داخل بولندا بسرعة مدهشة غير اعتيادية. وقد يكون من المستحيل ان يضحي بالدم المهرق هناك على مذبح المكائد الدبلوماسية.

وعلى كل حال فأنا أعتقد أنه كان يمكن التوصل الى مخرج لو لم تحزم بريطانيا أمرها من البداية على إبلاغ الأمور إلى حالة الحرب لامحالة. ولم أخضع لتهديد بريطانيا إنني ايها الدوتشي، لم أعد أومن بأن السلم يمكن الايقاء عليه اكثر من ستة اشهر أو عام واحد على اكثر تقدير. في هذه الظروف، رأيت اللحظة الراهنة هي رغم كل شيء أنسب لحظة النزال.

... سيتصدع الجيش البولندي ويخر متقوضاً في فترة قصيرة جداً ولأدري هل كان يمكن تحقيق هذا النجاح السريع في عام مقبل أو عامين. اراني مضطراً الى القول إنني اشك جداً في ذلك. فسوف تمضي فرنسا وإنجلترا قدماً في تسليح حلفائها إلى درجة لايعود يمكن ملاحظة وجود التفوق التكني الساحق للقيرماخت الألماني كما يلاحظ اليوم. واني لمدرک ايها الدوتشي بأن الكفاح الذي اخوضه اليوم هو كفاح حياة او موت... إلا أنني مدرک ايضاً ان كفاحاً كهذا لايمكن اجتنابه في النهاية وأن وقت القتال يجب أن يتم اختياره بتأمل متزن هاديء بحيث تزداد احتمالات الثقة بالنصر وتتأكد. وإيماني بهذا النجاح يا ايها الدوتشي ثابت ثبات الصخرة".

بعد هذا تأتي عبارات تحذير لموسوليني: "لقد تلطفت فأكدت لي إنك قد تستطيع مساعدتي في بعض الميادين. إنني اقبل ذلك منك مع سبق الشكر، الا اني اعتقد أيضاً - وان كانت سبلنا الآن مختلفة، فإن القدر سيربط مصائرنا معاً. لو قدر لألمانيا القومية الإشتراكية أن تتحطم على يد الديمقراطيات الغربية، فستواجه إيطاليا الفاشية أيضاً مستقبلاً مظلماً. ولقد كنت شخصياً مدرکاً على الدوام بأن مستقبل نظامينا مترابطان. واني عالم ايها الدوتشي بأنك تشاركني الرأي تماماً"، وختم هتلر رسالته بعد تعداد انتصارات الألمان الأولى في بولندا - بالعبارة التالية:

.....في الغرب، سأبقي متخذاً وضع الدفاع. وبامكان فرنسا أن تريق دمها هناك أولاً. وبعد ذلك ستحين الساعة عندما نستطيع أن نلقي بانفسنا هناك أيضاً على العدو بكل قوى الأمة.

أرجو أن تقبل شكري مرة أخرى ايها الدوتشي لكل ماقدمته لي من عون في الماضي، وأنا أسأل أولاً تأباه علي في المستقبل كذلك.

أدولف هتلر (٤٤)

أفصح هتلر في اخفاء ألمه لعدم قيام إيطاليا بالوفاء بعهداها، تحت اطباق عميقة من ضبط النفس - حتى بعد أن فت بريطانيا وفرنسا بالتزاماتهما وأعلنتا الحرب في هذا اليوم. إن إيطاليا الصديقة وإن

٤٤ - النص في (المرجع السالف) ج٧، الص ٥٣٨-٥٣٩.

لم تكن حليفة نزال، هي مصدر عون، بطبيعة الحال.
إلا أن روسيا قد تكون أكثر عوناً.

أوضحت أوراق النازي السرية التي استولوا عليها فيما بعد ان الحكومة السوفيتية قدمت ل سلاح الجو الألماني في اول يوم من الهجوم الألماني على بولندا، خدمة فريدة في بابها. ففي ساعات فجر ذلك اليوم الأولى إتصل الجنرال هانس يشونيك Hans Jeschonneck رئيس أركان القوة الجوية، بالسفارة الألمانية في موسكو ليقول إنه يكون ممتناً لو أن محطة الراديو الروسية في (منسك)، تقوم بالإفصاح عن هويتها باستمرار عبر الأثير، وبذلك تقدم لطياريه مساعدة ملاحية في قصف بولندا عبر عنها بعبارة "اختبارات ملاحية ضرورية". واستطاع السفير فون شولنبرگ أن يُعلم برلين عصر اليوم نفسه بأن الحكومة السوفيتية "كانت مستعدة لتلبية رغبتكم" ووافق الروس على إعلان هوية المحطة بأكثر ما يمكن خلال برنامجهم الاذاعي وأن يمددوا فترة اذاعة راديو منسك ساعتين حتى تمتد مساعدة الطيارين الألمان الى وقت متأخر من الليل^(٤٥).

لكن هتلر وريبنتروب كانا قبل مغادرتهما برلين مساء ٣ أيلول يفكران في مساعدة جوهريه عسكرية روسية اكبر بكثير من هذه في اتمام إحتلال بولندا. في الساعة ٦, ٥٠ مساءً بعث ريبنتروب إلى السفارة الألمانية في موسكو ببرقية "مهمة للغاية" صدرت بعبارة "سري جداً" وبدأت هكذا: "للسفير وحده او لرئيس البعثة الدبلوماسية أو ممثله شخصاً. يُعنى جداً بالكتمان. تفك رموزها بيده. سري للغاية".

باعظم ما يمكن من الكتمان دعا الألمان الإتحاد السوفياتي إلى مشاركتهم في الهجوم على بولندا. [وجاء في البرقية].

"نحن نتوقع جزماً أن نهزم الجيش البولندي هزيمة ساحقة خلال أسابيع قلائل. وعندئذ سنخضع الأقاليم التي ثبتت في موسكو بوصفها مجال النفوذ والمصالح الألمانية للإحتلال العسكري. ولأسباب عسكرية سيترتب علينا بطبيعة الحال الإستمرار في عملياتنا ضد القوات العسكرية البولندية التي ستكون في ذلك الوقت معسكرة في المناطق البولندية التي ستعود الى المجال الروسي. نرجو ان تبحث في الأمر حالياً مع مولوتوف، وأن ترى ألا يحبذ الإتحاد السوفياتي أن تقوم القوات الروسية في الوقت المناسب بالحركة ضد القوات البولندية في الجزء الروسي وتحتل من جانبها المنطقة الخاصة بها. وفي تقديرنا أن ذلك سيكون نجدة لنا، كذلك سيكون في مصلحة السوفييت أيضاً بمقتضى إتفاقية موسكو^(٤٦).

من الواضح ان حركة كهذه يقوم بها الإتحاد السوفياتي ستكون نجدة لهتلر وريبنتروب. لانها ستقضي على اي خلاف أو احتكاك بين الألمان والروس في اقتسام الأراضي، وكذلك سترفع بعض

٤٥- ذلك موضح في [وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية المرجع السالف ص ٤٨٠].

٤٦- نص البرقية في المرجع السالف الص ٥٤٠- ٥٤١.

الوزر عن كاهل ألمانيا لعدوانها على بولندا. وتضعه على عاتق الإتحاد السوفياتي. إن كانتا شريكيتين في الغنم، فلم لا تكونان شريكيتين في الغرم؟

كان أشد الألمان البارزين في الحكم غمماً (في برلين بعد أن إنتشر نبأ دخول بريطانيا الحرب) هو الأميرال الأعظم (رايدر) القائد العام للأسطول الألماني. فقد سبقته الحرب بأربع سنوات أو خمس. ذلك لأن برنامج (Z) البحري لن يتم إلا في ١٩٤٤-١٩٤٥ ليؤمن لألمانيا أسطولاً كبيراً تطاول به الأسطول البريطاني. لكن اليوم هو الثالث من أيلول عام ١٩٣٩. و(رايدر) يعلم وإن خالفه هتلر بأنه لا يملك من القطع البحرية العائمة ولا الغائصة أيضاً ما يكفي لشن حرب فعالة على بريطانيا العظمى. ولجأ إلى يومياته ليكتب مايلي:

"اليوم إندلعت الحرب بيننا وبين فرنسا وإنجلترا، الحرب التي أكد (الزعيم) في الماضي بأنها لن تحصل قبل ١٩٤٤. لقد اعتقدت الزعيم إلى آخر دقيقة ان بالامكان اجتنابها حتى ولو أدى ذلك إلى تأجيل التسوية النهائية للمشكلة البولندية..."

ويقدر مايتعلق الأمر بالأسطول. فلاشك أنه غير مجهز تجهيزاً جيداً لخوض حرب كبيرة مع بريطانيا... إن سلاح الغواصات ضعيف جداً، بحيث لن يكون له تأثير حاسم في الحرب. والسلاح العائم فضلاً عن ذلك أقل عدداً وعدة من الأسطول البريطاني، بحيث لا يستطيع وهو في أقصى منعه أن يفعل أكثر من ان يظهر بأنه يعرف كيف يموت ميتة الأبطال...^(٤٧)

ومهما يكن، ففي الساعة التاسعة من مساء ٣ أيلول ١٩٣٩ وفي اللحظة التي كان هتلر يترك برلين ضرب الأسطول الألماني ضربته.

أطلقت الغواصة (و-٣٠) طوربيداً على باخرة الركاب البريطانية أثينيا Athenia في نقطة تبعد زهاء مائتي ميل غرب (هيبرايدس Hebrides) وهي في طريقها إلى مونتريال من ليفربول فأغرقتها. وكانت تقل (١٤٠٠) راكب وفقد ١١٢ منهم حياتهم وبين هؤلاء الموتى ثمانية وعشرون أمريكياً. ها قد بدأت الحرب العالمية الثانية.

٤٧- "مؤمرات الزعيم في الشؤون البحرية - ١٩٣٩" النص ١٣-١٤.

